

هو العليم

المعيار الصحيح في تحديد حسن الفعل وقبحه

شرح دعاء أبي حمزة الثمالي - سنة ١٤٣٢ هـ - المحاضرة الخامسة

محاضرة ألقاها

آية الله الحاج السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

قدس الله سره



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

ما هو معنى: "أدعوك يا مولاي بسان قد أخرسه ذنبه"

ذكرنا في الليلة الماضية للإخوة والرفقاء أنّ الأمر

المتعلق بنا في مقابل الله تعالى عبارةً عن الطلب والسؤال

المترافق مع عصيانه تعالى والتمرد على أوامره

و دستوراته .. إنّ سؤالنا و طلبنا مترافقان مع هذا المطلب،

وبالتالي فإنّ ما قاله الإمام السجاد عليه السلام سابقاً

ينطبق علينا تماماً، و ذلك حيث يقول: "أدعوك يا مولاي
بلسانٍ قد أخرسه ذنبه". يا رب إِنّي أنا الذي أدعوك
وأرجوك وأطلب منك.. أدعوك بلسان قد جعلته الذنوب
آخرساً وألْكناً، فهذا هو حال لساني وأنت أدرى بما تفعله
معي والأمر إليك يا رب، ولكن هذا هو حالنا و وضعنا،
فلساننا لسان إنسان مذنب عاصٍ.

ذات يوم أحضر أحدهم رجلاً إلى السيد العلام،
وكان رجلاً عجوزاً من أهل طهران، و كان يقيم مجالس
العزاء واللطم في بيته، و كانت تطول مجالس اللطم
ساعتين أو ثلاثة ساعات وحتى الواحدة بعد منتصف
الليل، وبعد ذلك كان يقدم مرق اللحم للحاضرين ليأكل
الناس و يغادروا، وكانوا يسمون ذلك "توسلاً"،
ويطلقون على مجالسهم اسم "مجالس التوسل"، وكان
يقيم تلك المجالس في ليالي الجمعة... (و قد رأيت ذلك
الشخص ذات مرّة فأحببت أن أرى ما هو مقدار معرفته
بالإمام عليه السلام، فوجده بعيداً جداً، ورأيت أنّ

معرفته ضحالة جدًّا وأنه "لا يميّز الهرّ من البرّ" ، ومع ذلك فهو يعتبر نفسه من السبّاقين في طريق الولاية!!).

أجل.. أحضروا هذا الرجل إلى السيد العلامه بعنوانه فرداً [ذا مراتب عالية!]، والذي أحضره هو نفس ذلك الشخص الذي كان قد طلب تغيير دعاء السمات في جلسات عصر الجمعة إلى زيارة عاشوراء.. فهو نفسه الذي طلب مني أن أذهب إلى السيد العلامه وأطلب منه أن نقرأ زيارة عاشوراء بدلاً من دعاء السمات في عصر الجمعة!! ما شاء الله.. ما شاء الله.. يا له من فهم وإدراك!!

ولأدرى من أين عثر على صاحبه ذاك! فجاء و قال لي:

إنَّ فلاناً قد جاء إلى هنا و نريد أن نقابل السيد العلامه، فقلت له: بماذا أدعوك عليك الله؟ يا عزيزي خذ صاحبك هذا إلى منزلك إن أردت، فما هو ذنب والدي حتى ابتلي بأمثالكم؟! من هذا الذي أحضرته ليقابل السيد العلامه؟!

فأجابني: لا.. أنت أخبر السيد العلامه، و [لا علاقة لك بالأمر].

حسناً.. إذا لم نخبر السيد العلامة، فإن هذا الرجل سيأتي غداً و يقول لسماحته: يا سيد، لقد جئنا إلى السيد محمد محسن و طلبنا منه أن يوصل لك الكلام ولكنّه لم يفعل!! وقد وقع ذلك فعلاً، فبعضهم كان يأتي ويقول لي بعض الأمور، ولم أكن أرى أنّ من الصلاح أن أنقل الكلام للسيد العلامة، حيث أنّ ذلك لم يكن صحيحاً أصلاً، ولذا أنا لم أكن أنقل ذلك الكلام لسماحته، ثمّ بعد ذلك كنّا نتفاجأ بالشرّ الذي وقع، حيث أنّهم كانوا يذهبون ويشتكون للسيد العلامة، وقد حصل ذلك عدّة مرات لا مرّة أو مرّتين. حسناً.. ماذا كان يقدر السيد العلامة أن يفعل؟ لقد كان يستدعيوني، و يؤثّبني أمامهم قائلاً: عندما يقولون لك كلاماً حتّى توصله إلى فلا ينبغي أن تُعمل رأيك الشخصي، فوظيفتك أن توصل الكلام ... و نحن بدورنا كنّا نقول له: حاضر، ولكنّنا نفعل ما علينا فعله [تبسم من سماحة السيد].

حسناً.. هذا الرجل قال لي: قل لسماحة السيد العلامة أنّنا بانتظاره، [فلما جاء سماحته و جلسنا] وجدت أنّ هذا

الشخص ما كاد يجلس حتى ضغط على زر التشغيل وبدأ بقراءة الأشعار، ويا لها من أشعار!! و من ضمن ما قاله: بحمد الله.. (و كان يستخدم طقم أسنان صناعي، فكان الطقم يتحرّك في فمه أثناء الكلام بطريقة طريفة [ضحك من سماحة السيد])... قال: بحمد الله نحن قد وصلنا إلى مقام عالٍ بحيث أنه لا يمكن أن يصدر منّا أي ذنب بعد الآن.

و كان السيد العلام حتّى ذلك الوقت جالساً يستمع للتراثات التي يلقاها بصمت، ولكن عندما وصل إلى هذا الحدّ نفذ صبره وقال له: "إنّ نفس إحساسك هذا بأنّك تستحيل أن ترتكب ذنباً .. هو أكبر الذنوب التي لا تغفر!!!" فتفاجأ ذلك الرجل، وقال لسماحته: ماذا قلت سيدنا؟! لقد بُهت وتفاجأ، فحتّى الآن لم يكن قد سمع هذا الكلام من أحد، بل كان الجميع يمدحونه ويتملّقون له، ويقابلونه بالترحيب والاحترام الشديد... (نَسَأَ اللَّهُ الْأَمَانَ مِنْ هُؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ يُغَرِّرُونَ بِالْإِنْسَانِ، وَمِنْ أَمْثَالِ هُؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يُضِيِّعُونَ الْوَقْتَ)، فكرر السيد

العلامة له ذلك قائلاً: "أجل! إنّ نفس إحساسك بأنك لا يمكن أن ترتكب ذنباً هو أعظم الذنوب، لأنّ العبد في مقام العبوديّة لا يجد نفسه صالحًا أمام مولاه".

فسكت ذلك الرجل ولم ينبع ببنيت شفة، وأماماً ذلك الشخص الذي أحضره، وكان واسطة الفيض [ضحك من سماحة السيد] فقد فهم بدوره أنه قد وصل إلى أساس المسألة واصطدم بحقيقة الأمر، فالمسائل لا تسير وفق هوى الإنسان دائمًا. وفي النهاية أخذ صاحبه وخرج، فلما صرنا في الزقاق التفت له وقلت: لم لم تسمع النصيحة، ألم أقل لك: لا تضيع وقت والدي؟!

[إنّ هذا الرجل العجوز كان يقول:] أنا لا أحس بذنبي مذنب أبداً... ماذا تقول؟ كيف لا تحس بأنك لا يمكن أن ترتكب أيّ ذنب؟ فالذنب لا تقتصر على شرب الخمر، والسطو على البيوت، بل الذنب عبارة عن الكدورة والمحجّب الذي يغلب على النفس، مما يؤدي إلى ادعاء الإنسان بأنّ له قيمةً وزناً واستقلالاً وحيثيّةً وجوديّةً أمام الله سبحانه وتعالى.. هذا هو معنى الذنب،

و كُلّ من يرتكب ذنباً فإنّ ذلك ينطبق عليه، وغاية ما في الأمر أنّه في بعض الموارد تكون هذه الحيثيّة قليلة بينما في موارد أخرى تكون كثيرة، ففي بعض الموارد لا يكون لحيثيّة الاستقلال هذه تجلّ واضح لذلك الفرد، كما لو كان الشخص شاباً ولا يفهم الأمور بشكل عميق حتّى الآن، بل قد تجد أنّ كثيراً من المسائل لم تطرق سمعه بعد ... واضح؟ إنّ مثل هذا الشاب لا يفهم الأمور بشكل واضح، ولا يقدر أن يشخص المسائل بشكل دقيق، فلذا تجده يقول: يا للعجب! هل من الممكن أن يكون هذا الأمر خطأً أو أن يكون فعله معصيّة؟!!

أنا في بعض الأوقات أتحدّث مع بعض الأفراد، وأنبههم إلى بعض المسائل، وكثيراً ما أتعجب كيف أنّ ذلك الشخص لم يكن يدرّي حتّى الآن أنّ هذا الأمر ذنب ومعصيّة! فذلك لم يخطر على باله أصلاً، ولم يتصرّر أنّ ذلك الفعل يعدّ تمرداً ومعصيّة! وعندما نوضّح له ذلك، فإنّ حاله يتغيّر وينقلب بشكل عجيب، ومن هنا نعرف أنّ حيثيّة الاستقلال الموجودة لدى الشخص المسنّ أمام

الله تعالى وتعلقه بالدنيا ليست موجودة أبداً عند الشباب والفتیان، وبناء على هذا يجب أن تعالج المسائل الحقوقية والجزائية والعقوبات والديات وينبغي أن تُقاس بناء على هذه المسألة... وإن شاء الله سوف نتحدث عن هذا الموضوع في كتاب "الارتداد في الإسلام" الذي وعدنا كثيراً بكتابته ولكننا لم نوفق لذلك حتى الآن بعد...

هناك سنتقول: إن العديد من المسائل والقضايا التي تعدّ من مصاديق الارتداد في نظر الكثرين ليست من الارتداد في شيء حقيقةً، بل هي في الواقع ليست إلاً اشتباهاً أو خطأً أو قلة فهم أو جهل أو عدم اطلاع أو انحراف أو عدم سعة وجودية لدى ذلك الشخص... إن شاء الله سنبيّن ذلك هناك.

ولهذا إذا ارتكب فرد ذنباً أو خطأً فليس من الصحيح أن يأتي حاكم الشرع فوراً ليعاقبه فيضر به أو يأمر بجلده! كلاماً.. بل يجب أن ينظر ويدقق في خصوصياته الروحية، وفي مسائله وجوانبه المختلفة، وفي الجوّ الذي كان يعيش فيه، والتخيلات والأوهام التي عنده، فها هنا ينبغي

مراجعة ألف نكتة، وعلى حسب ذلك يجب أن يتم اتخاذ القرار وإصدار الحكم بأنه في هذا المورد ماذا ينبغي أن نفعل؛ فمن الممكن أن يستحق هذا الشخص عقوبة معينة في سن معين، ولكن نفس ذلك الشخص لو كان في سن آخر وفي موقعة أخرى فإنه قد يستحق حتى عقوبة أشد وأكبر من تلك العقوبة والحد الذي فرضه الشارع بحسب الظاهر وذلك بحسب المصالح الحاكمة في ذلك الموضع، فليس صحيحاً أنه يجب أن يحاكم جميع الأفراد أو يخاطبوا بنفس الطريقة وبنفس الشكل، كلاً.. ليس الأمر كذلك، فالآمور تختلف والحالات تتفاوت، كما أن حيصة الاستقلال والأنانية ومقدار الكدوره والظلمة الفاعلية (الفعالية) لها تأثير بالغ في تعين موارد الجراء وآثار ذلك الفعل، ويجب على الفقيه أو القاضي والحاكم - بناء على ذلك الأساس - أن ينظر في المصاديق المختلفة ويحدد الآثار التي يجب أن ترتب على ذلك الفعل سواء في جانب الإثبات أم في جانب النفي. حسناً.. هذه المسألة ترجع إلى الحيصة الباطنية للإنسان، وهي أنه إلى أي حد يقف هذا

الإِنْسَانُ فِي وِجْهِ اللَّهِ؟ وَكَمْ يَرَى هَذَا الشَّخْصُ قِيمَةً لِنَفْسِهِ
وَوَزْنًاً أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى؟ إِنَّ ذَلِكَ جَمِيعًا يَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ.

مِعيَارُ الْحَسْنَ وَالْقَبْحَ بَيْنَ الْجَنْبَةِ الْإِثْبَاتِيَّةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْجَنْبَةِ

الْبَاطِنِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ

النموذج الأول: مقارنة أفعالنا وعبادتنا بأفعال أولياء الله وعبادتهم

في الليلة البارحة ذكرت لإخوة والرفقاء أنَّ العبد له حيشستان أمام الله تعالى؛ الأولى هي ذلك الفعل الذي يؤدّيه، وفي هذا الجانب من المسألة فإنَّه قد لا يختلف عن أفعال باقي الأفراد وتصرّفاتهم، وقد لا يكون هناك فرق من الناحية الظاهريَّة بين العمل الذي نؤدّيه نحن وبين العمل الذي يؤدّيه أحد أولياء الإلهين، فأنتم ماذا تقولون عندما ترکعون؟ ما هو ذكر الرکوع الذي تأتون به؟ تقولون: "سبحان ربِّ العظيم وبحمده.. سبحان ربِّ العظيم وبحمده.. سبحان ربِّ العظيم وبحمده.. اللهم صلٌّ على محمدٍ وآل محمدٍ".." هذا هو ذكر الرکوع الذي كنَّا نسمعه دائِمًا من حضرة السيد الحداد، فرغم أن

"سبحان ربِّي العظيم و بحمده" واحدة تكفي إلَّا أن سماحته كان يقوها ثلاث مرات، و كذلك كان يقرأ ذكر السجود ثلاث مرات أيضاً، و كان دائماً يعقب ذلك بالصلاحة على النبيِّ و آله في الركوع و السجود.

حسناً.. أنا أيضاً أقول ذلك عندما أركع، فأيِّ فرق صار بيبي و بينه؟! أنا أيضاً أركع وأقول ثلاث مرات: "سبحان ربِّي العظيم و بحمده"، فهل أصير بذلك مثل السيد الحداد؟! وهل يكفي أن أقول ذكر الركوع هذا ثلاث مرات لكي أصل إلى التسليمة المرجوة؟! [تبسم من سماحة السيد].

فما هي حقيقة ذلك إذَا؟ إنَّ حقيقة ذلك ليس إلَّا التشابه في مقام الإثبات الظاهري لعملي مع مقام الإثبات الظاهري لعمل الأولياء الإلهيين، فالتشابه موجود بيننا وبينهم في هذا الجانب؛ فكلامنا قد يشبه كلامهم، وذكرنا قد يشبه ذكرهم، وكذلك بالنسبة للدعاء للدعاة الذي يقرأ قبل النوم ليلاً، فهم كانوا يقرؤون دعاء الاحتياج: "اللهم يا من احتجب بشعاع نوره عن نواضر خلقه..."، وكانوا

يعطونه لبعض تلاميذهم أيضاً، فهم كانوا يقرؤونه وكذلك تلاميذهم كانوا يقرؤونه... وأنا ما زلت أذكر حتى الآن أنَّ السيد العلَّامة كان يقرؤه قبل النوم، وما زلت أسمع صوت قراءة سماحته لهذا الدعاء عند النوم بصوت خافت.. "اللهم يا من احتجب بشعاع نوره ..."، وهو دعاء عجيب واقعاً.. خصوصاً فقراته الأخيرة حيث بين كيفية ظهور مقام أحدية الذات في مظاهر الأسماء الكلية والصفات الكلية بشكل بديع... حسناً.. كان سماحته يقرأ هذا الدعاء، وصوت سماحته ما زال في أذني. كما أنه كان يوصي الأفراد بقراءة ذلك الدعاء الآخر في قنوت صلاة الشفع أو الوتر... أي دعاء؟ دعاء سحر شهر رمضان المبارك الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام، و مطلعه: "اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه، وكل بهائك بهي ..." .. إن جلد الإنسان ليشعر من هذا الدعاء العجيب! إنه واقعاً دعاء عجيب!! حيث أنَّ الإمام عليه السلام لا يتوجه في هذا الدعاء إلا نحو الذات المقدسة لله تعالى، ولا يلتفت حتى إلى آله ونعمائه

ومظاهره... إنّه دعاء عجيب جدًا! لقد كان سماحته يوصي بذلك، وكم من الجيد أن يفعل الإخوة والرفقاء جميعاً ذلك، فذلك الدستور لم يكن دستوراً خاصاً، فمن الجيد أن يقرأ الإنسان هذا الدعاء في صلاة الليل في قنوت صلاة الشفع أو الوتر، وقراءته في أيٍّ منها جيد لكن قراءته في الشفع أفضل.. والشفع هي تلك الركعتان الأخيرتان.. فيُستحسن قراءته في قنوت الركعة العاشرة؛ في البداية خذوا كتاب المفاتيح، واقرؤوا الدعاء منه، وعندما تحفظونه فاقرؤوه من حافظتكم غيّباً دون النظر في الكتاب.

إنّ لهذا الدعاء آثارٌ عجيبة جدًا، وقد سمعت نفس السيد الحداد يقول أن المداومة على هذا الدعاء تفتح أمام الإنسان كنوزاً من المعرفة !! وذلك عند المداومة .. المداومة على دعاء الإمام الباقي عليه السلام.

حسناً.. نحن أيضاً نقرأ الدعاء بهذا الشكل، فهل هذا يجعلنا السيد الحداد؟! أو هل يجعلنا ذلك - و العياذ بالله - كالإمام الباقي عليه السلام؟! ذلك الفرد الذي أنشأ هذا

الدعاء، وأمر شيعته أن يقرؤوه الإمام الباqr عليه السلام!!

ما هي تلك الحقيقة التي كانت عند الإمام وراء هذا الدعاء؟ والله إن أقل الناس فهمًا يستطيع أن يدرك أن هناك أمراً ما، فيما بنا نحن؟! إن الأحمق ليفهم أن هناك تفاوتاً وفرقًا بين هذا وذاك!!

"اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاءه، وكل بهائك (أي: وكل تجلٌّ من تجليات بهائك) **بھی** (بحر من البهاء والعظمة)، **اللهم إني أسألك ببهائك كلّه** (مع كل سعة هذا البهاء الوجودية)" .. ما معنى هذا؟ وماذا يريد أن يقول الإمام الباqr هنا؟! "بهاء ... بهاء... بهاء"!!! ما معنى ذلك؟ وما المقصود بالبهاء هنا؟ وفي أيّ كتاب فقهـي يمكن أن نجد معنى ذلك؟ في أيّ كتاب أصوليّ أم في أيّ كتاب لغويّ؟ هل نجد معنى ذلك في "المنجد" أم في "لسان العرب"؟! ذلك "البهاء" الذي يقصدـه الإمام الباqr عليه السلام!! حسناً.. تفضل يا عزيزي، فنحن قد طرحنا سؤالاً .. فتفضـل بالإجابة .. بين لنا ما هو قصد الإمام الباqr عليه السلام هنا؟

إِنَّا لَا نرَى أَكْثَرَ مِنْ مُتَرِّينَ أَمَامَنَا.. وَلَا نفْهَمُ أَمْرًا أَبْعَدَ
مِنْ ذَلِكَ، فَهَلْ ذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّذِي عَنْدَنَا نَحْنُ
هُوَ نَفْسُ الْمَقْدَارِ الَّذِي دَفَعَ الْإِمَامَ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِإِنْشَاءِ هَذَا الدُّعَاءِ؟!! هَذَا الْمَقْدَارُ فَقْطُ؟!

[إِنَّ مَقْتَضِيَ كَلَامِكُمْ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ،] وَلَذَا فَهَذَا هُوَ
الْمَقْدَارُ الْمَطْلُوبُ، لِأَنَّ وَظِيفَةَ الْعَبْدِ هِيَ الْعِبُودِيَّةُ، وَلَا
شَأنٌ لِلْعَبْدِ بِالْتَّعْرِفِ عَلَى مَوْلَاهُ!! جَيِّدٌ جَدًّا.. [وَبَنَاءً عَلَى
هَذَا سَيَكُونُ فَهْمَنَا لِلْدُعَاءِ بِهَذَا الشَّكْلِ:] يَا رَبِّ.. أَنْتَ
عِنْدَكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْبَهَاءِ وَالْعَظَمَةِ، وَقِيمَتُكَ كَبِيرَةٌ!! يَعْنِي
هَلْ هَذَا الْمَقْدَارُ الْمَحْدُودُ الَّذِي نَفْهَمْنَا كَانَ هُوَ الْعُلَّةُ فِي
إِنْشَاءِ هَذَا الدُّعَاءِ؟!! يَا لِلسُّخْرِيَّةِ!!

حَسَنًاً، مَا هُوَ ذَلِكَ الْطَّرْفُ الْآخِرُ مِنَ الْأَمْرِ وَالْجَانِبُ
الْآخِرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ؟ (انظُرُوا.. لَقَدْ بَدَأْنَا الْكَلَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَكِي نَصْلِ إِلَى نِكْتَةِ دِقِيقَةٍ قَدْ غَفَلْنَا
عَنْهَا، وَهَدْفُنَا هُوَ الْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ النِّكْتَةِ الدِّقِيقَةِ رَغْمَ أَنَّ
مَقْدِمَةَ ذَلِكَ مَقْدِمَةً بَعِيدَةً).

إِنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الرَّبْطِيَّةَ الْقَائِمَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ هِيَ
الَّتِي تَشَكَّلُ أَصْلُ وَأَسَاسُ وَأَسْسٍ وَمَخْ وَحْقِيقَةً وَجَذْرَ جَمِيعِ
تَصْرِيفَاتِنَا وَأَمْوَارِنَا، وَنَفْسُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الرَّبْطِيَّةِ هِيَ الَّتِي
تَقْتَلُ مَقَامَ الْعِبُودِيَّةِ بِعِينِهِ.. نَفْسُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْإِتَّصَالِيَّةِ،
وَنَفْسُ تَوْجِّهِ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ بِحَسْبِ الْمَرَاتِبِ الَّتِي
تَمْتَلِكُهَا .. وَكَلِّمًا كَانَ الْمَقْدَارُ الَّذِي يَمْتَلِكُهُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا
أَكْثَرُ كَانَ نَصِيبُ الْإِنْسَانِ أَكْبَرُ.

النموذج الثاني: ذبح الأضحية

أَوْلَمْ يَرَدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى (فِي الْحَدِيثِ عَنِ
الْأَضْحِيَّةِ): (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ
يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)^١، فَمَا هُوَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ؟ إِنَّ مَعْنَاهَا
أَنَّ لَحْمَ هَذِهِ الْأَضْحِيَّةِ، وَدَمَهَا وَصَوْفَهَا، وَأَعْضَاؤُهَا لَا
تَصْلِي إِلَى اللَّهِ، فَأَنْتُمْ مَنْ يَأْكُلُ الْلَّحْمَ، فَمَا رِبْطُ ذَلِكَ بِاللَّهِ
تَعَالَى؟! فَأَنْتُمْ تَقْطَعُونَ الْلَّحْمَ وَتَقْسِمُونَهُ بَيْنَكُمْ، فَتَعْطِيُونَ
بَعْضًاً مِنْهُ لِجِيرَانِكُمْ، وَبَعْضًاً لِأَقْارِبِكُمْ... وَبِالْتَّالِي فَلَا
عَلَاقَةَ لَهُ بِذَلِكَ!! فَلِمَذَا تَمْنَوْنَ عَلَى اللَّهِ إِذَاً؟! (إِنَّ بَعْضَهُمْ

^١ صدر الآية (٣٧) من سورة الحجّ.

يذبحون الأضحية، وبعد ذلك يقطعها و يحفظ لحمها لنفسه في المجمدة، و يقدّم ذنبها و أظلافها للفقراء، ثم يطلق عليها اسم الأضحية!! إنّ تلك ليست بأضحية، فكيف تكون أضحية بعد كُل ذلك؟!!).

فأنتم الذين تأكلون اللحم، و تقسّمون أعضاءها و جوارحها بينكم، أمّا دمها فيسيل على الأرض، و الخلاصة: فإنّ آياً من ذلك لا علاقة له بالله تعالى! بل هي مرتبطة بالجانب الخلقي للمسألة، و بجانب الظهور، و جانب الظهور هذا لا علاقة له بالله، بل هو مرتبط بكم أنتم، فإن شئتم أكلتموه وإن شئتم أعطيتموه لغير انكم، ففي النهاية سيؤكل وسينزل من الفم إلى البطن، وهذا لا علاقة له بالله.

وإذا كان تقديمكم لهذه الأضحية بقصد التقرّب إلى الله، فإنّ أحداً لن يلتفت إلى ذلك، ولو لم يكن ذلك بقصد التقرّب فإنّ أحداً لن يعلم أيضاً! أليس كذلك؟! فهل هناك عدّاد موضوع على جبين كُل واحد منّا ليبيّن ذلك؟ مثلاً لو قام أحد هم بتقديم أضحية بدون قصد التقرّب،

فلو نظرتم إلى جبينه فهل سيظهر على جبينه "صفر" يدل على عدم إخلاصه؟ فتقولون له: يا سيد، انتبه لنفسك [ضحك من سماحة السيد]، واحرص على أن تكون أضحيتك لله تعالى، فعدادك لم يعطِ أي قراءة يا عزيزي!!! ولكن الله - فعلاً - ستار العيوب إلى أقصى حد، فلو أنه كان قد وضع عدداً على جبين كل واحدٍ منا لكون أنا أول الفارين والهاربين ...

واعظان كاين جلوه در محراب و منبر می کنند ***
چون به خلوت می روند آن کار دیگر می کنند
(يقول: إن هؤلاء الوعاظ الذين يتظاهرون بالصلاح في المحراب وعلى المنبر، إذا ما ذهبوا إلى خلوتهم فعلوا تلك الأفعال الأخرى)

نقل لي أحد الأصدقاء هذه القصة. يقول: ذات يوم ذهبتُ في الصباح الباكر لزيارة حضرة الخواجة حافظ الشيرازي، ولم يكن قد جاء أحدٌ بعد إلى هناك، ولأنّ حارس المكان كان يعرفه فقد فتح له الباب، يقول: كنت جالساً فإذا بمجموعة من الأشخاص قد جاؤوا أيضاً، ولم

يُكَنُ الْوَقْتُ الرَّسْمِيُّ لِلزِّيَارَةِ قَدْ حَلَّ، وَلَمْ تُفْتَحِ الْأَبْوَابُ
بَعْدَ لِعْمُومِ النَّاسِ كَيْ يَدْخُلُوا، فَبَعْضُ النَّاسِ لَا بَدَّ أَنْ
يَزُورُوا بِشَكْلٍ غَيْرِ رَسْمِيٍّ وَغَيْرِ عَادِيٍّ! الْمُهِمُّ.. دَخْلُ
هُؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ مَعْمَمٌ، وَهُوَ مَا يَزَالُ
الآنَ مُوجُودًا، يَقُولُ صَدِيقُنَا: أَنَا كُنْتُ قَدْ نَزَعْتُ نَعْلَيّْ قَبْلِ
الدُّخُولِ ...

أَيَّهَا الإِخْوَةُ الْأَعْزَاءُ، كُلُّمَا ذَهَبْتُمْ لِزِيَارَةِ الْخَوَاجَةِ حَافِظُ
فِي شِيرَازِ، فَانْزَعُوا نَعْلَكُمْ فِي الْأَسْفَلِ قَبْلِ أَنْ تَصْعُدُوا
لِزِيَارَتِهِ لِأَنَّهُ:

سَرْزَدَهُ دَاخِلُ مشْوَ مِيكَدَهُ حَمَامُ نِيَسْتُ ***

(يَقُولُ: لَا تَدْخُلُ إِلَى الْحَانَةِ فَجَأَةً وَدُونَ تَرْتِيبٍ

وَاسْتَعْدَادِ فِإِنَّهَا لَيْسَتْ حَمَاماً)

وَقَدْ رَأَيْتَ بِنَفْسِي هَذِهِ السَّنَةِ عِنْدَمَا تَشَرَّفْنَا بِزِيَارَةِ
الْبَقِيعِ، أَنَّ بَعْضَ الْأَفْرَادِ - الَّذِينَ قَدْ يَصُعبُ عَلَيْكُمْ
تَصْدِيقُ ذَلِكَ بِحَقِّهِمْ - قَدْ دَخَلُوا "بِالنَّعَالِ" إِلَى حَدُودِ
الْمَقَابِرِ الْمَطَهَّرَةِ لِأَئْمَمَ الْبَقِيعِ.. لَقَدْ دَخَلُوا بِالنَّعَالِ
وَالْحَذَاءِ! وَمِنْ نَاحِيَةِ أَخْرَى فَقَدْ رَأَيْتَ أَفْرَادًا آخَرِينَ مِنْ

الأفراد العاديّين قد خلعوا أحذيتهم و أمسكواها بيدهم
عندما دخلوا للزيارة، فما أسعدهم حظّهم! وهنيئاً لهم.
والآن.. أخبروني.. زيارة من من هذين أقرب؟ و تقرّب
أيّ منها أكبر؟! تقرّب من أكثر؟ (ولكنْ يناله التّقوى
منكُم) !! فبأيّ معرفة جئت لزيارة الإمام المجتبى
والإمام السجّاد والإمام الباقي والإمام الصادق؟! أهياها
الأحق! لماذا لم تخلع نعليك؟! فهل من الضروري أن ترى
الذهب والجواهر التي في مقام الإمام الرضا أمام عينيك
حتّى تخلع حذاءك؟! فذاك إمام واحد، بينما هؤلاء أربعة
أئمّة، ثم إنّ هؤلاء آباءه أيضاً!! فهل من الضروري أن
ترى باباً ذهبيّاً وقبةً ذهبيّةً كالتي في مقام الإمام الرضا؟!
إنّ هذه الزيارة صارت زيارة الذهب والاحجار، وليس
زيارة للإمام الرضا عليه السلام !!

انزع نعليك وادهب إلى قبر حضرة الخواجة حافظ،

و اطلب الهمة هناك:

سِر تربیت ما چون گذری همت خواه *** * که

زیارتگه رندان جهان خواهد بود

(يقول: إذا مررت بترتنا فاطلب الهمة هناك، حيث

أنّها ستصير مزاراً لعقلاء العالم)

هو نفسه يعلّمنا .. اطلبوا الهمة، فالمرء يطير بهمّته،

والإنسان الذي لا همة له يدور كحجر الطاحونة في مكانه،

فحجر الطاحونة منها دار وتحرك إلاّ أنه لا يرتفع عن

الأرض بمقدار سنتيمتر واحد بل يظل ملتصقاً بالأرض،

وهذا الشخص كذلك مثل حجر الطاحونة! وهذا بعينه ما

يريد أن يقوله لنا "حافظ" في شعره حين قال :

بر سر تربت ما چون گذری همت خواه ***

اطلب الهمة .. الهمة تعني الإرادة والعزّم والجذّية

والقصد والاهتمام ... تجد الإنسان يقول: نعم.. نعم.. هذا

الكلام صحيح. [ونحن نقول له:] نعم هو صحيح ولكن

ما ذا فعلت أنت بناءً على ذلك؟! لا يكفي أن تقول: إنّ هذا

الكلام صحيح! وبعد أن علمت أنه صحيح؛ ما هو الأثر

الذي رتبته على ذلك؟! فإذا كان هذا الكلام صحيحاً فابدأ

بالحركة وامض في الطريق، واتّبع ... ولكنّه مع ذلك

يكفي بقوله: صحيح .. صحيح. ها! من هنا نعلم أنّ هذا

الشخص لا همّة له؛ لأنّه لو كان عنده همّة، لتحرّك وطبق
واتّبع الطريق الذي أقرّ بصحته.

*** كه زيارتگه رندان جهان خواهد بود

رحمة الله عليه.. رحم الله أولئك الذين يصدر كلّ
الخير من نفوسهم إلى العالم.

نعم.. يقول صديقنا: كنّا جالسين، فإذا بهم قد دخلوا
متعلّين... الظاهر أنّهم يخافون أن يصل التراب والغبار إلى
جوارهم! ولكن لا يوجد هناك حتّى الغبار، ففي الليل
يأتي مجموعة من الشباب المتحمّسين الذين يملؤهم
النشاط والحرارة فيغسلون المكان.. وقد رأيتهم بنفسي
ذات مرّة قد أتوا وعملوا على تنظيف المكان ثمّ غسلوه
بهاء الورد، وكنت في بعض الليالي موجوداً بنفسي هناك
عندما كانوا يقومون بذلك، ورأيتهم بنفسي.

أجل.. يقول صديقنا: كنت جالساً، و كان المكان
نظيفاً لا غبار فيه، ومع ذلك فقد دخلوا بأحديثهم، ففي
النهاية يمكن أن يصيب البرد تلك القدم المباركة...
والخلاصة: فقد جاء هؤلاء وصعدوا ، فصاروا يتحدّثون

ويضحكون، ولم يقرؤوا فاتحة ولا ذكرًا، ولم يكن عندهم توجّه أو التفات، بل كان حديثهم يدور حول جمال المكان وجمال الورود الموجودة هناك، وحول جمال العطر وأمثال ذلك ...

وفجأة التفت ذلك الرجل المعجم إلى حارس المكان الذي كان يرافقهم، وكان يحمل ديوان حافظ في يده، ولسبِّ ما قال ذلك الرجل المعجم للحارس بحالة من البهجة : أَيُّها العزيز، خذ لنا فَأَلًاً بدِيوان حافظ! ولم يقصِّر الخواجة حافظ بحْقَه، حيث أنَّ فَأَلَه قد كان هذا البيت :

واعظان کاین جلوه در محراب و منبر می کنند ***
چون به خلوت می روند آن کار دیگر می کنند
(يقول: إِنَّ هُؤُلَاءِ الْوَعَاظُ الَّذِينَ يَتَظَاهِرُونَ بِالصَّلَاحِ
في المحراب وعلى المنبر، إذا ما ذهبوا إلى خلوتهم فعلوا
تلك الأفعال الأخرى)

[يضحك سماحة السيد]... و يقال إنَّ لونه صار شديد الحمرة من الخجل، كأنَّه "شمندر" ! هلرأيت "الشمندر"؟ فهو على أنواع، وأحد أنواعه أحمر شديد

الحمرة... يقال: إنّ لون وجهه صار بهذا الشكل، وأحنى رأسه إلى الأسفل خجلاً.. أمّا ذلك الحارس فاستمر بالقراءة مكرّراً البيت بصوت عالٍ قائلًا: هل التفت يا حضرة السيد ... [ضحك من ساحة السيد]، وكان من الواضح أنّ ذلك الحارس لم يتممّ اختيار ذلك البيت، فلم يكن هناك علامة خاصة في تلك الصفحة خصوصاً أو ما شابه، بل قام بفتح الديوان بشكل تلقائي فجاء هذا البيت! يا عزيزي .. لا تلعبنّ بذيل الأسد!! بإمكانك أن تلعب في أيّ مكان يحلو لك، ولكن لا تلعبنّ بذيل الأسد! فالأولياء أسد الله! إنّ أولياء الله أسود!! و الإنسان لا يستطيع أن يلعب مع أسود الله.. ها!! خذوا هذه الألاعيب و احتفظوا بها لأنفسكم، فالمسألة هنا تختلف.

بر سرتیت ما چون گذری همت خواه *** که

زيارتگه رندان جهان خواهد بود

(يقول: إذا مررت بترتنا فاطلب الهمة هناك، حيث

أنّها ستصير مزاراً لعقلاء العالم)

حسناً.. من هنا يتضح أنّ هذه الجنبة الثبوتية .. (أي الجنبة الربطية، و جنبة الاتصال مع الله عزّ وجلّ والتي تمثّل الحقيقة والواقعية التي تقع خلف القضية).. هي أصل و أساس الجنبة الظاهرية والإثباتية للموضوع، فالموجود واقعاً و ما له القيمة حقيقة هو الجنبة الثبوتية ، وأمّا الجنبة الإثباتية فهي إنّما تستحق من القيمة والأهمية و الرفعة بمقدار و ميزان تلك الجنبة الثبوتية.

إنّ الله عزّ وجلّ يقول: إِنَّ الْقُرْبَانَ الَّذِي تَرِيدُ ذَبْحَهُ قَرْبَةً إِلَيَّ، وَتَلْكَ الشَّاةُ الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَذْبَحَهَا وَأَنْ تَوْزِعَهَا عَلَى الْفَقَرَاءِ، فَهَذَا الْعَمَلُ الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تَقُومَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَرْغُبُ مثلاً أَنْ تَهْدِيهِ لِرَفِيقَائِكَ وَأَصْدِقَائِكَ.. فَاعْلَمُ إِنَّ مَا يَصْلِنِي أَنَا مِنْهُ هُوَ ذَلِكَ الْجَانِبُ الْإِلَهِيُّ وَجَانِبُ طَلْبِ الْقِرْبَةِ.. لَا لَحْمَهُ، فَاللَّحْمُ لَا يَصْعُدُ إِلَى الْأَعْلَى، بَلْ يَنْزَلُ إِلَى الْأَسْفَلِ؛ فَهُوَ يَمْرُّ بِهَذِهِ الرَّقْبَةِ وَالْحَلْقِ وَالْحَلْقُومِ الْمَبَارَكَةِ حَتَّى يَصْلِ إِلَى الْمَعْدَةِ، أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟ فَاللَّحْمُ وَالْعَظَمُ لَا تَصْعُدُ إِلَى الْأَعْلَى، لَأَنَّ مَا يَصْعُدُ إِلَى الْأَعْلَى يَنْبَغِي أَنْ يَنْطُويَ عَلَى حِيثِيَّةِ التَّجَرُّدِ حَتَّى يَتَنَاسَبُ مَعَ تَجَرُّدِ عَوَالِمِ

الغيب و يتوافق معها، وكما هو معلوم فإن التوافق في السنخية من شروط حقيقة الاتحاد.

إن النية التي تكون في القلب وفي الذهن هي التي تصلني، وهذا معنى: (وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ)، فما معنى "التقوى"؟ التقوى يعني: النية الخالصة والنية الصالحة التي تخلو من الخداع والمنافسة في المظاهر والمجاملات، وتخلو من قاعدة "مراجعة بعض المصالح" !! فلا يقول الإنسان في نفسه: لقد أحضر لنا فلان منذ فترة مقداراً من اللحم، ولذا إن لم أحضر له اللحم فذلك عيب بحقي، وبالتالي ينبغي أن أرد له ذلك وأحضر له اللحم أيضاً؛ لأن هذا من باب المجاملة والمنافسة في العلاقات الاجتماعية، وهذا يفسد المسألة، ولافائدة فيه.

أما تلك النية التي تكون نية خالصة، والتي يتحقق فيها جانب العبودية فإنها تصل إلى الله؛ لأن النية لها حيادية تجريدية، أي أنها مجردة، فلا وجود للهادفة فيها، وحيث أن الله تعالى مجردد أيضاً لذا فإن هذا المجرد يتقارب من ذلك المجرد.

إن حقيقة هذا المعنى الموجود في قوله تعالى: (يَنَالُهُ
الْتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ)، هو الأصل والأساس في جميع
التصرّفات التي يقوم بها الإنسان في هذه الدنيا؛ سواءً منها
الشخصية أم الاجتماعية أم السياسية أم تصرّفاته في
المعاملات الهدية والتي ترتبط بهذه الدنيا، وهذه الحقيقة
هي الحقيقة التي لها الأصالة والواقعية وهي الأساس.

النموذج الثالث: صلاة سيد الشهداء وصلاة عمر بن سعد

أما ظاهر الأعمال التي نقوم بها جمِيعاً فهي متشابهة مع
بعضها البعض، وتماثل بعضها البعض، وقد لا تجد بينها
فرقًا، فتجد - مثلاً - مسجدين اثنين ويصلّي الناس فيهما
كلاهما: يصلّي في أحدهما سيد الشهداء عليه السلام، أما
الآخر فيصلّي فيه عمر بن سعد، فعمر بن سعد كان أحد
أئمة الجماعة في الكوفة وكان يصلّي بالناس، وبالتالي كان
كلاهما يصلّي، وكلاهما يقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)،
وكلاهما يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...)، وكلاهما
كان يركع وكان يسجد، وكلاهما كان يصل إلى التشهّد
والتسليم ... ، حسناً إن كان الأمر كذلك فلا فرق بينهما،

أي: أَنْتِي عَنْدَمَا أَنْظَرْتُ إِلَيْهِمَا لَا أَفْهَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ،
وَإِلَّا لَوْ كُنْتَ أَفْهَمَ الْفَرْقَ، فَكَيْفَ ذَهَبْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنَ
سَعْدٍ؟! لَذَا مِنَ الْوَاضِحِ أَنْتِي لَمْ أَفْهَمُ الْفَرْقَ.

مَا الَّذِي كُنْتَ أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ؟ كُنْتَ أَنْظَرْتُ إِلَى جَنْبَةِ
"الْإِثْبَاتِ"، أَمَّا جَنْبَةِ "الثَّبُوتِ" فَلَيْسَ عَنِّي أَدْنَى اطْلَاعٍ
عَلَيْهَا.. (أَرْجُو الانتِباه !! فَنَحْنُ بَدَأْنَا نَصْلِ إِلَى حَقِيقَةِ
الْمَسْأَلَةِ وَإِلَى عَمْقِهَا)، إِنَّ الْجَانِبَ الَّذِي أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ وَالَّذِي
أَشَاهَدُهُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جَانِبِ "الْإِثْبَاتِ" وَحْسَبُ، لَا
أَلْتَفَتُ إِلَّا إِلَى الْأَعْمَالِ وَالتَّصْرِيفَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَأَنَا أَنْظَرْتُ إِلَى
قُولِهِ: "اللَّهُ أَكْبَرُ" .. انْظُرُوا كَيْفَ يَجْعَلُهَا تَخْرُجُ بِصَوْتٍ
وَاضْعَفُ وَلِغَةً فَصِيحَةً، [يَرْفَعُ سَمَاحَةَ السَّيِّدِ يَدِيهِ كَمَا يَفْعُلُ
فِي التَّكْبِيرِ لِلصَّلَاةِ، وَيَقُولُ:] انْظُرُوا كَيْفَ يَحْرُكُ يَدِيهِ
بِاِنْتِظامٍ مِنْ جَانِبِ الرَّكْبَتَيْنِ إِلَى أَنْ تَصْلِي إِلَى جَنْبِ أَذْنِهِ
(وَبَعْضُهُمْ يَحْرُكُ إِذْنِيهِ، وَلَكِنَّ أَنْتُمْ لَا تَفْعَلُوْنَا ذَلِكَ !!)
فَالبعضُ يَفْعُلُ ذَلِكَ، لَكِنَّ أَنْتُمْ لَا تَحْرُكُوْنَا أَذْنِيْكُمْ، لَقَدْ
رَأَيْتُهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِنَفْسِيِّي، فَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّ اللَّهَ
سَيِّسِمُعُهُمْ بِذَلِكَ !! [ضَحْكٌ مِنْ سَمَاحَةِ السَّيِّدِ] ، فَهَذِهِ

هي الـ "الله أكْبَر" التي لهم، ثم بعدها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...)، وكلاهما يتلفظها، سواء الإمام الحسين أم عمر بن سعد أيضاً، وكلاهما يقولها بنفس الطريقة..

(أرجو أن تدقّقوا النظر هنا جداً لأنّ مفاصيل الإنسان ترتعد في هذه المواطن!! وهنا مكمن القضية!!!)

طالما أتّهموا من حيث الظاهر واحد، فكيف استطعنا أن نعرف الإمام الحسين عليه السلام؟! فهما من حيث الظاهر لا اختلاف بينهما ولا فرق!! فذلك اللعين حتى يستطيع أن يخدع الناس أكثر.. فهو يُحسّن صوته ويدرك التسبيحات بعدد أكثر من الإمام حتى!! فهذه هي وسائلهم، في المقابل - على فرض المثال - قد يكون الإمام الحسين عليه السلام قدقرأ تسبيحة واحدة في الركوع والسجود (أنا لا أعلم إن كان يقرأ ثلاث تسبيحات أو واحدة حين الركوع، ولكن أنا أعطي مثلاً فقط)، هو يقول: "سبحان ربِّ العظيم وبحمده، اللهم صلّ على محمد وآل محمد" ثم يقوم.

فلمَّا يقتصر على ذلك؟ لأنَّ الإمام الحسين ليس
بحاجة إلى التظاهر كالآخرين، وهو لا يحتاج إلى الاحتيال
ولا إلى الخداع ولا إلى الرياء، ولم يكن يحتاج إلى تلك
الابتسamas الكاذبة وأمثالها، ها !! لم يكن الإمام الحسين
يحتاج إلى انتقاء العبارات والتواضع الكاذب وأمثال ذلك،
بل يقول: هذا هو أنا فإنْ أعجبكم هلموا إلَيْي، وإنْ لم
يعجبكم ففي أمان الله، وفي ليلة عاشوراء لم يبق معه أكثر
من ثلاثة رجالاً والباقيَّة أهله وعصبه الذين كانوا معه من
الأول، فكم كان المجموع كُلُّه؟ كان اثنين وسبعين رجالاً
لا أكثر، و هكذا انتهى الأمر، فهذا الفعل الذي قام به
الإمام الحسين، وليس لأحد عليه أيٌّ منّة، فهو عندما جاءه
أحد الأفراد وعرض عليه سيفه وحصانه بدلاً من أن
يشارك بنفسه مع الإمام، وقال له: هَذَا فَرَسِيْ يُخْذِلُكَ
فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُهُ قَطُّ وَأَنَا أَرُومُ شَيْئًا إِلَّا بَلَغْتُهُ وَلَا أَرَادَنِي
أَحَدٌ إِلَّا نَجَوْتُ عَلَيْهِ فَدُونَكَ فَخُذْهُ، فَأَعْرَضْ عَنْهُ الْحُسَيْنُ
عَلَيْهِ السَّلَام بِوَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ وَلَا فِي

فَرِسْكَ (وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا) ^١ ... قم، و
امض من هنا أئيّها الأحمق! فقد أتيتك وأنا أمتلك تلك
الحيثيّة الربطية، وأنت ت يريد أن تتصدق علىّ بسيف؟!
اغرب عن وجهي، فأنا لا أستخدم المضللين كمساعدين
لي ولا كعنصري يساعدونني في مسائلٍ، فهل اعتقدت أنّي
أتيت إليك لأنّي محتاج لك؟! بل أنا أعلم أنّهم في الغدّ
سيقطّعونني ألف قطعة وقطعة. يا سيء الحظ، إنّما أردت
أن آخذ بيديك، كنت أريد أن أدخلك في بحر الرحمة الإلهيّة

إِشارة إلى ما روي في كتب السير حيث جاء آنه: "... سارَ الْحُسَيْنُ حَتَّى نَزَلَ الْقُطْقُطَانَةَ فَنَظَرَ إِلَى فُسْطَاطٍ مَضْرُوبٍ فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الْفُسْطَاطُ؟ فَقَيْلَ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرَّ الْحَنْفَيِّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: "أَيْهَا الرَّجُلُ إِنَّكَ مُذْنِبٌ خَاطِئٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخِذُكَ بِمَا أَنْتَ صَانِعٌ إِنْ لَمْ تُتَبْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سَاعَتِكَ هَذِهِ فَتَنْصُرَ فِي وَيَكُونُ جَدِّي شَفِيعَكَ بَيْنَ يَدِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ لَوْ نَصَرْتُكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَقْتُولٍ بَيْنَ يَدِيْكَ وَلَكِنْ هَذَا فَرَسِيٍّ خُذْهُ إِلَيْكَ فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُهُ قَطْ وَأَنَا أَرُومُ شَيْئًا إِلَّا بَلَغْتُهُ وَلَا أَرَادَنِي أَحَدٌ إِلَّا نَجَوْتُ عَلَيْهِ فَدُونَكَ فَخُذْهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوْجِهِهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ وَلَا فِي فَرِسْكَ (وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا) وَلَكِنْ فِرْ فَلَا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا فَإِنَّهُ مَنْ سَمِعَ وَاعْيَتَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْنَا كَبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرْبَلَاءِ.." (راجع: بحار الأنوار ٤ : ٣١٥). (المترجم)

الذى لا حدّ له ولا نهاية، وفي المقابل ت يريد أن تتصدق على

بسيف؟!! ت يريد أن تعطيني فرساً؟!!

(وَ مَا كُنْتُ مُتَخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا)، هذه هي

العبارات التي ينبغي أن نكتبها وأن نضعها أمام ناظرينا،

هذه الكلمات التي صدرت عن الإمام الحسين .. ونعم

بالطبع هذه آية من آيات القرآن، ولكن الإمام الحسين

يستشهد بها.

حسناً.. إذا نظرنا إلى مقام "الإثبات" سنجد أنّهما

واحدٌ ولن نلاحظ فرقاً بينهما، ففي مقام "الإثبات" هذا

يصلّى وذاك يصلّى، هذا يصوم وذاك يصوم، هذا يصعد

المنبر وذاك يصعد المنبر.. فيبين هؤلاء الأفراد كان يوجد

من يتحدث بفصحى ومن كانت خطابته جميلة جداً جداً،

ها !! فكانت خطبهم وأحاديثهم جميلة جداً وجذابة جداً،

فإنّ من البيان لسحراً، فالبعض عندما يتحدث يكون

حديثه جذباً جداً.

ينقل عن أيام انتشار الفاشية في أوروبا، أنّ "هتلر"

عندما كان يخطب في الناس، كان يسيطر على عقول الجميع

ويأسر جميع الألباب ويسحرها، فالخطابة لها نوع من الاحتراف والفن، ولها قواعد احترافية تبيّن كيف على الإنسان أن يتحدث، ثم إذا كان للإنسان نفس قوية، فإنّ الأثر يتضاعف.

أمّا المهم وهو جنبة الارتباط التي تربط بين الإنسان وبين الله، فما حقيقتها؟ أي: ما هو الارتباط الذي تشعر به في المسجد الذي يصلّي فيه سيد الشهداء عليه السلام؟ وفي المقابل، ما هو الارتباط الذي تشعر به في المسجد الذي في الكوفة الذي يصلّي فيه عمر بن سعد؟ هناك عندما تذهب في الظاهر ستري أنه يقول: بسم الله .. الحمد لله .. والركوع والسجود... ، ولكن لو فتحت عيني الباطن عندك قليلاً لرأيت الشيطان مجسماً، و هو يركع ويُسجد ويقول: (وَلَا أَضَالِّي)، وستجد أن هناك شيطاناً واقفاً في المحراب ويقول: (بِسْمِ اللَّهِ...)، الشيطان هو الذي يقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، نعم الشيطان.. نفس هذا الشيطان الرجيم، ونفس هذا الشيطان اللعين، تراه واقفاً يقول:

"سبحان رب العظيم"، بل هو يقولها بصوت فصيح ومتاز جداً.

أما هناك إذا ذهبت فستجد سيد الشهداء عليه السلام يصلّي أيضاً، وسترى هناك رجلاً تجلّت وتجسّمت فيه صفات الله جمِيعاً، وتتجده في مقامه المحمود يحمد نفسه بنفسه، فأين الشرى من الشرى؟! وأين هذا من هذا؟!

أجل.. في مقام "الإثبات" كلاماً واحداً، كلاماً يركع، وكلاماً يقوم من الركوع، وكلاماً يسجد ويتشهد، وكلاماً محفوظ في هذا المقام، أما خلف هذه القضية، فهل انتهى الأمر؟! هل يمكن أن نقول أنها متباهاً ومتساويان؟! فلو كان الأمر قد انتهى فهذا يعني أنها مثل بعضها البعض، وبالتالي فلا فرق بين عمر بن سعد وبين الإمام الحسين عليه السلام، لأنّ كلاماً يركع ويسجد وانتهت المسألة.

ولكن!! ما الذي يقلقنا هنا ويشوش خاطرنا ويجعلنا نشعر بأنّ وراء الأمر سراً، ويجعلنا نذهب لكي نصلّي خلف ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، لا خلف ابن

سعد بن وقاص؟! مع أنّ كلامها يقول: ﴿وَلَا أُلْضَالِّينَ﴾، وكلامها

وكلامها يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وكلامها

يقول: "سبحان ربّ العظيم" و "سبحان ربّ الأعلى"،

ولكن مع كُلّ ذلك هناك شيء يقول لي: إذهب وصلّ هنا

ولا تصلّ هناك؟! ما الذي جعل ذلك يحصل؟

لقد حصل ذلك بسبب الحيشية الربطية، وهذه الحيشية

الربطية الموجودة خلف الستار، يعبرون عنها في

الاصطلاح بمقام "الثبوت" .. في الإصطلاح الفنّي

تسمى "مقام الثبوت" ، ففي مقام الثبوت لهذا الشخص

تتجلى جميع صفات الله عزّ وجلّ في ظهور ومظهرية

ال العبودية، نفس مقام الله عزّ وجلّ يتجلّ في مقام العبد

فصار يحمد نفسه ويسبّح نفسه، بالطبع هذا المقام هو

مقام مختص بالإمام.. بالإمام المعصوم، أمّا في في سائر

الأفراد فالمراتب أقل من ذلك!! فالله بتجلّيه التام في

عبده.. في سيد الشهداء عليه السلام .. في هذا التجلي هو

يحمد نفسه بنفسه، ويعظم نفسه، ويكبر نفسه، ويهلل

لنفسه، ويحمد نفسه، وكلّ هذه الأمور تجلّت في هذا

الوجود المقدس، يعني: نفس هذا التجلّي هو الذي أوجد التقديس، وأوجد مقام الطهارة المطلقة. ما هو هذا المقام ؟ هو "مقام الثبوت".

في الطرف المقابل إذا نظرنا سنجد شيطاناً محسماً !!
شيطاناً محسماً يقف في الظلمة الممحضة وفي الكدوره
الممحضة، وهو في هذه الحالة يقول: سبحان الله .. سبحان
الله .. سبحان الله. فهو يقول في الظاهر هذه التسبيات
أيضاً، ولكننا نلاحظه هنا من حيث مقام الثبوت.

وبالتالي: إن حقيقة العبودية وحقيقة الإسلام
وحقيقة التشريع هي مقام الثبوت، لا مقام الإثبات الذي
هو الظاهر وحسب !! أليس كذلك؟ هل فهمتم حقيقة
المسألة؟

الآن نحن إذا نظرنا، فسنجد أن المقامات تم تبديلها
وتم وضع كل شيء مكان الآخر، يعني: إنك تجد البعض
عندما ينظرون إلى مبني الإسلام وإلى أحكام الإسلام،
وعندما ينظرون إلى الإمام الحسين عليه السلام ينظرون إلى
ضرب السيف وإلى مقارعته ليزيد وقيامه عليه وقتاله له و

استشهاده، فينظر إلى هذه الأمور لا إلى نفس الإمام الحسين عليه السلام... إنّنا عندما ننظر و نحلّل لنحصل المِلاك، فبدلاً من أن ننظر إلى مقام "الثبوت" نلاحظ مقام "الإثبات"، فترانا نلاحظ: كيفية حديثه.. ومن هو الذي يقوم بملاطفته و يهتمّ به، وعلى من يثور، وكيفية تصرّفه... و هكذا.

إن شاء الله في المجلد الثالث لكتاب "أسرار الملوك" سأوضح المسألة أكثر، وأنا الآن أعمل على إتمام كتابته، وسأسعى لتوضيح هذه المسألة بالذات، وقد خطر على بالي أن أطرح لكم هذه المسألة الليلة، ولكن هناك ستجدون توضيح المسألة بشكل أكبر.

النموذج الرابع: سجن أبي حنيفة و خلافه مع المنصور

إنّ أبي حنيفة كان أحد مخالفي المنصور الـدوانيقي ، وبالرغم من أنّ المنصور كان يؤيّده في فترة من الفرات، ويساعده من أجل محاربة الإمام الصادق عليه السلام، ولكن بسبب بعض الحسابات الشخصية بينه وبين المنصور، لذا فقد حبسه المنصور في السجن، ومات في

السجن أيضاً، بل.. لقد مات عدو الإمام الصادق عليه السلام الأول في السجن! ذلك العدو الذي كان الإمام الصادق يستخدم التقية أمامه إن كان حاضراً في المجلس، وكان يتحدث بأمور مغايرة حتى لا يذهب ويخرب الأمور.

إن أبو حنيفة هذا كان يقوم بأعمالٍ وقحة جداً جداً، واقعاً كانت أموره عجيبة، فقد قرأت منذ فترة عن أحواله وتاريخه، ولا أدرى لعل ذلك كان في السنة الماضية، قرأت هذه القصة:

لقد كان جالساً فأتى إليه القاضي وكان حينها في الكوفة، وقال: لقد أحضروا لنا فلاناً لقطع يده لأنّه سرق، وبعد الأخذ والرد قال أبو حنيفة: ينبغي أن تقطع يده، وعندما ذهب ذلك الرجل، قال له أحد جلسائه: إنّ الجرم الذي قام به هذا الرجل لا يستحق قطع يد، و بعد نقاش دار بينهما اقتنع أبو حنيفة وأجابه: بل .. بل.. ما تقوله صحيح ، فقال ذلك الرجل: إن كان كذلك، فأرسل أحداً إلى هؤلاء ليصحح الأمر قبل أن يقطعوا يده، فأجابه أبو

حنيفة بدم بارد: لا بأس.. لا بأس، دعهم يقطعوا يده، فقد
انتهت المسألة ومضت.

انظروا لقد تساهل بالمسألة ولم يغير ما قاله حتى
قطعوا يد ذلك الرجل المسكين، لماذا؟ فقط من أجل ألاً
يتراجع عن كلامه الذي قاله، ولا يسقط كلامه عن
الإعتبار، ولكي لا يقال: اشتبه فلان !!

حسناً لقد وضعوا عدوَ الإمام الصادق عليه السلام
الأول هذا في السجن، والسبب هو مصالحهم الشخصية
ليس إلاً، فلا يمكن لنا أن نقول: بما أنه كان في سجن
المنصور إذاً هو حتماً رجُل صالح، لا أبداً، فالخوارج
أرادوا أن يقتلوا معاوية أيضاً، فهل هذا الأمر يجعل منهم
أناساً صالحين؟! نفس هؤلاء الخوارج الذين أتوا ليقتلوا
أمير المؤمنين عليه السلام هم نفسهم ذهبوا ليقتلوا
معاوية، وهم نفسهم ذهبوا ليقتلوا عمرو بن العاص،
لكنّهم لم يوفّقو إلاً في قتل أمير المؤمنين عليه السلام
وحسب، فأصاب سيفهم رأسه... وبالتالي هم لم يكونوا
أناساً صالحين أبداً.

هل يصلاح دليلاً أن نقول: كُلُّ رجُلٍ يعارض إنساناً ظالماً ومخالفاً للدين هو رجُلٌ صالحٌ؟ كلاً.. أبداً؛ لأنَّه يوجدآلاف الآلاف من الأسباب والداعي لحصول العلاقات وقطعها، وبالتالي: يمكن لنا أن نعدّ اتّباع الإنسان للإمام عليه السلام دليلاً على الصلاح، أمّا مخالفة الإنسان لرجلٍ سيِّء وظالم فلا يعدّ دليلاً على الصلاح، لأنَّ الداعي للمخالفة عديدة ومختلفة.. انظروا إلى هذه الفئات المختلفة التي ستذهب إلى جهنَّم، [فستجدون أمّهم لا يتَّفقون مع بعضهم البعض].

حسناً بالنسبة لهذا الرجل [أبو حنيفة]: هل مخالفته لل الخليفة الظالم، و هل قيامه بتهييج الناس و دعوتهم لمواجهة المنصور.. يعدّ سبباً لكي يصبح رجلاً ثوريّاً، و رجلاً مقاتلاً و رجلاً مجاهداً و من "مفاخر الإسلام"؟!!
هكذا كتب البعض !! لقد كتبوا هذا الكلام في كتبهم !!
لكن نحن نقول: أنت يا من يكتب الرسائل داعياً
الناس للثورة على المنصور.. (ثمّ بعد ذلك وصلت هذه
الرسالة إلى يد المنصور فوضعت في السجن) لماذا لم تقم

أنت بنفسك؟! يجيبنا أبو حنيفة: لا، أنا جلست هنا لأنّي

أرغب في تعين تكاليف العباد!!

لماذا جلست أنت؟! لماذا أرسلت الناس إلى الجبهة

ليقاتلوا هم بينما جلست أنت في بيتك؟! فأبو حنيفة يجلس

في بيته، ويقول للناس: اذهبوا إلى الجبهة لمقاتلة المنصور

الدوانيقي !! و لكن لماذا لا تذهب أنت أيضاً!! لتدع

شظية من الشظايا تصيب جبينك حتى تعرف طعم

الشظايا التي تصيب رؤوس الناس أيضاً.

إنَّ أمير المؤمنين كان يحمل السيف بنفسه، وكان

الحسن والحسين عليهما السلام معه في صفين، وكان هو

أقرب الناس إلى جيش الأعداء، فهو لم يكن ليجلس كأبي

حنيفة مشجعاً الناس على محاربة المنصور الدوانيقي، ثمَّ

بعد أن وصلت تلك الرسالة إلى يد المنصور وضعه في

السجن، ثمَّ مات في السجن، لا لم يكن كذلك، بل هو

نفسه كان في وسط المعركة، وكان يرى أنَّ روح عليٌّ

كأرواح البقية بلا فرق، وكان يرى التقدير والمشيئة

الإلهية متساوية في حق الجميع، ولم يجعل لنفسه حساباً

يختلف عن حساب الآخرين، ولم يبن أبراجاً و حصوناً
بارتفاع الشريّا ليختبئ فيها، لا يا عزيزي، بل إنّه ليلة التاسع
عشر من شهر رمضان عندما قالوا له: مولاي نريد أن
نصاحبك إلى المسجد، قال لهم: ولماذا تصحبوني؟! ومن
أجل ماذا؟!! ماذا ستفعلون؟! هل تستطعون أن تحفظوني
من التقدير الإلهي؟! فلم يأتوا معه إلى المسجد، وضربه
اللعين على فرقه في تلك الليلة!!

من هو هذا الذي فعل ذلك؟ إنّه ذلك العالم بالخفّيات
!! أمّا نحن فلا، ليس لدينا هذا المقام ولله الحمد، بل
أصلاً هل يمكن الفرار من يد عزرايل؟! هل يمكن
الإفلات من مشيئة الله وإرادته؟! لا، لا يمكن ذلك؛ إذًا
ما المسألة؟!

النموذج الخامس: تفضيل الإمام الحسين على الإمام الحسن عليهما السلام

نحن نأتي ولا ننظر إلا إلى هذه الخصوصيّة وحسب،
فقط ننظر إلى هذه الموقعيّة، وعندما ننظر إلى الإنسان فإنّنا
لا نلاحظه إلا من هذه الوجهة وحسب، فلا نرى رفعة
سيّد الشهداء وأفضليّته إلا من الجانب الظاهري فقط، أمّا

الإمام المجتبى عليه السلام فهو مسكون لأنّه لم يُثْر ولم يُقتل بهذه الطريقة، ولكن في الواقع ليس لدينا من هو مظلوم أكثر من الإمام المجتبى عليه السلام، مع العلم أنّ شجاعة الإمام الحسن في صفين إن لم تكن أعلى من الإمام الحسين فهي على أقلّ تقدير لا تقلّ عنها شيئاً.

ولكن هل تعلمون ما هي مظلوميّة الإمام المجتبى؟ هي أنّه كان إماماً، والإمامنة تعني: تلك الحيثيّة الشبوّية، وتلك الجنبة الربطية للعبوديّة الموجودة بين هذا المظهر والظهور من جهة وبين الله عزّ وجلّ من جهة أخرى، ومن أجل ذلك صار مظلوماً، أمّا لو كان الإمام المجتبى مثل أبي حنيفة، ولو كان مثل الخوارج، ولو كان كعبد الله بن الزبير، لما كان الإمام المجتبى مظلوماً الآن، بل لأنّ الإمام المجتبى حمل سيفه وقام على الخلفاء، ولقطع الرؤوس والأيدي، ول فعل أمثال هذه الأفعال، ولصار بالنسبة لنا نسخة أخرى من الإمام الحسين؛ أي: لصار عندنا إماماً حسيناً، غاية الأمر أنّ لكل واحدٍ خصوصيّاته الخاصة.

بينما الآن، لا تجد للإمام المجتبى ذكرًا عند أحد، لماذا؟ لأنَّ الإمام المجتبى كان إماماً، لأنَّ الإمام ي ينبغي أن يكون مظلوماً ولأنَّ الإمام المجتبى كان إماماً؛ لذا فإنَّ تلك الحقيقة الثبوتية التي فيه كانت بالمرتبة الأتمّ.

أما لو كان الإمام المجتبى مثل عمر بن سعد، أو مثل خالد بن الوليد ... أخبروني: ألا تجدون الآن في الكتب الإسلامية أنَّهم يتحدّثون عن خالد بن الوليد ويعدّونه من مفاحر الإسلام؟! نعم نفس خالد بن الوليد الذي زنا بزوجة مالك بن نويرة في ليلة قتله، نعم نفس هذا الرجل !! اعتبره البعض في كتب الشيعة من مفاحر الإسلام !! وهذا الصنف من علماء الشيعة صرّح بأنَّ سقيفةبني ساعدة تُعتبر حركة إصلاحية كان هدفها الوقوف في وجه تشتّت المسلمين !! أفْ هؤلاء جمِيعاً !! هذا ما قالوه عن سقيفةبني ساعدة؛ وذلك لأنَّهم نظروا إلى جنبة "الإثبات" ، فماذا نسمّي هذه النظرة، نسمّيها: المادّية الإسلامية .. المذهب المادي الإسلامي، المذهب المادي هو الذي ينظر إلى الأمور بنظرة مادّية وبنزعة مادّية، تلك

النظرة التي تنظر إلى جنبة "الإثبات" لا إلى جنبة "الثبت".

حين النظر إلى الإمام الحسين، نلاحظ في كتبنا وفي منابرنا أنّهم يقولون: إنَّ الإمام الحسين ثار يوم عاشوراء على يزيد وعلى عبيد الله بن زياد وفعل كذا وكذا... ، لكن أنا أسألكم: لو أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقم بكل ذلك فما هو رأيكم؟ عندها ستجدهم يقولون: ها ، إم ، ها ، لماذا حصل ذلك؟ لماذا لم يفعل كذا ... ؟

لماذا؟ لأنَّ نظرتنا للأمور هي نظر ماديّة.. نظرة المذهب المادي، أفالا يكون المذهب ماديًّا إلا إذا كان المتحدث "لينين" أو "ماركس" فقط؟!

النموذج السادس: مبادئ الإمام السجّاد عليه السلام لزيد بن معاوية عندما نحصر نظرنا على الجنبة "الإثباتية" والظاهريّة، عندئذٍ سنُعرِّف الإمام موسى بن جعفر، بأنه موسى بن جعفر الذي ثار على هارون الخليفة الظالم، ولكن!! متى ثار موسى بن جعفر على هارون؟! وأين ومتى حصلت ثورته هذه؟! وبهذه النّظرة فإنّنا لن نقبل إلا الإمام السجّاد

الذى يكون من ناحية مقام الإثبات قد وقف بوجه الخلفاء حتى آخر رمق من حياته، بينما إن قرأنا في التاريخ - وقد وردت هذه القضية في التاريخ واقعاً. أن الإمام السجّاد عليه السلام بايع والي المدينة من قبل يزيد، وذلك لأنّه إن لم يبايع لكان مهدر الدم، فنحن لا نستطيع أن نقبل بهذه الحقيقة وبهذه الواقعة التاريخية، فنقول: "إنّ هذه الواقعة مدسوسـة في التاريخ وهي افتراء على الإمام السجّاد وهي غير صحيحة" ، إنّهم يقولون ذلك، أليس كذلك؟ بل يقولون، وهم يقولون: "متى صدر هذا الفعل عن الإمام، بل هو بعيد عن مقام الإمامة" ، لا يا عزيزي، ليس بعيد؛ لأنّه لو لم يبايع لقتلوه، فذلك اللعين أخرج سيفه.. سيفه ذو الثلاثة أمتار، وقال: إمّا أن تبايع أو سنعمـلـك كالبـقـيـة

!!

لقد ولـدـ عشرة آلـاف طفل في المدينة المنوّرة عشرة آلـاف طفل غير شـرـعي بعد حـصـولـ تلكـ القـضـيـةـ !!! فالمسألة ليست مزاهاً، وهذا هو السبب لبيعتـهـ، فـماـذاـ يـفـعـلـ الإمامـ؟ـ فهوـ إنـ قالـ:ـ لاـ أـرـيدـ الـبـيـعـةـ؟ـ فـسـيـأـخـذـونـهـ

وسيقتلونه كما قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، ألم يقطعوا
رأس الإمام الحسين من قبله؟! بل قطعوا رأسه، ثم جاؤوا
بالأحصنة ورضاوا صدره، ولم يقتصر الأمر عليه هو فقط،
بل حتى طفله الرضيع استخرجوه وقطّعوه قطعة قطعة،
إنهم سيفعلونها حتى مع الإمام [السجاد]، فماذا سيفعل
الإمام في هذه الحالة؟!

حقيقة المذهب المادي: النظر إلى الجنبة الإثباتية الظاهرية

وأغفال الجنبة التبوئية الواقعية

نحن لا نعرف من الإمامة إلا مقابلة الظالم ومواجهته،
ولا نلتفت إلى تلك الجنبة التبوئية التي تمثل الأصل
والأساس، والتي ينبغي أن نركّز نظرنا عليها ولا نلتفت
إلا إليها، لكننا أغفلناها ولم نلتفت إلا إلى الجنبة الظاهرية
الإثباتية، فإن كان نظرنا منحصراً في هذا الجانب الإثباتي،
فهناك شبهة بين الأئمة والعديد من الأفراد غيرهم، إن
"تشيغفارا" يشبههم، و "جاندارك" ، و "نhero" الذي قام
بالثورة على فلان ، و "غاندي" كان كذلك، ألم يثير
"غاندي" على سياسة الإنجليز في الهند؟! فلننقل - والعياذ

بالله - أَنَّهُ إِمَامٌ !!! غَذَ مَا هُوَ الْفَرْقُ؟! فَهُوَ كَذَلِكَ قَدْ ثَارَ

كَالإِمامِ الْحَسِينِ!

نَهْرُ وَغَانْدِي وَجَانْدَارِكَ وَأَمْثَالَهُمْ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ
أَذْكُرْ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ... وَعَلَى كُلِّ حَالٍ... إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْعَالَمُ بِحَقِيقَةِ الْمُسَأَلَةِ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ يَعْمَلُهُمْ بِمِقْتَضَى عِلْمِهِ
وَرَحْمَانِيَّتِهِ، فَكُلِّ إِنْسَانٍ خَطِيَّ خطْوَةً فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ فَلَهُ
أَجْرٌ، إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْخَيْرِ فَلَا أَجْرٌ لَهُ.

حَسَنًاً.. مَا هُوَ سَبَبُ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ سَبَبُهُ أَنَّ رُوحَ الْهَادِيَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ بَاتَتْ حَاكِمَةً عَلَى أَرْوَاحِنَا، فَصَرَّنَا نَشَاهِدُ جَمِيعَ
الْقَضَايَا وَالْأُمُورِ مِنْ هَذَا الْمَنْظَارِ؛ فَنَحْنُ نَعْتَبُ الشَّخْصَ
مَهْمَّاً إِذَا كَانَ مَنْطَبِقًاً مَعَ هَذِهِ النَّظَرَةِ، فَنَحْنُ لَا نَذَهَبُ أَوْلًَا
إِلَى إِيمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ...

يُوجَدُ بَعْضُ النَّاسِ، وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضًاً مِنْهُمْ بَعْدَ الثُّوَرَةِ،
مِنْ أُولَئِكَ الْمَجَمُوعَاتِ الْمُخَالِفَةِ مِنَ الْقَوْمِيِّينَ وَمَا شَابَهَ
ذَلِكَ، وَكُنْتُ أَحِيَانًاً أَشَاهِدُ بَعْضَهُمْ فِي التَّاكْسِيِّ مَثَلًاً،
فَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ إِيرَانِيُّونَ أَوْلًَا.. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْنُ
مُسْلِمُونَ! وَكُنْتُ أَضْحِكُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا، فَهَؤُلَاءِ الْحَمْقَى لَا

يعرفون من هو جدّهم الثالث، ثمّ يأتون ويقولون: نحن أولاً إيرانيون ثمّ مسلمون! هذا وقد كان الطرف المقابل يحبّيه قائلاً: كلاً! بل نحن مسلمون أولاً ثمّ إيرانيون، وكان النقاش والجدال يختدّ بينهما.

حسناً.. نحن مثل هؤلاء، فنحن عندما ننظر إلى أحد الأئمّة، أو حينما نريد أن نبحث في تاريخ أحد الأئمّة عليهم السلام، أو نريد أن نبحث حياة أحد العرفاء والأولياء الإلهيين ونراجع حياتهم، فإنّنا نذهب إلى جانب الإثبات المختصّ به، فننظر إلى تصّرّفاته وأعماله، ونعطيه من القيمة والتقدير بنفس المقدار الذي نجد تصّرّفاته وأعماله موافقة لوجهة نظرنا، وبناء على ذلك نحدّد درجته واحترامه، فنحترمه ونقدّره ونعلق أوسمة الشرف على صدره!

وأمّا لو نظرنا إلى شخصٍ آخر، فوجدناه قد جلس جانباً فلم يتدخّل في المشاكل وابتعد عنها، فإنّنا نقول: من هذا؟ وما قيمته؟ وأيّ فائدة له؟ إنّ هذا قد ابتعد وجلس جانباً، فأيّ ميزة في ذلك؟! ينبغي أن يقوم ويأتي، فليأت

وليتحرّك إن كان صادقاً فيما يقول! والحقير كان شاهداً
بنفسه على ما قاله البعض وما فعلوه، والجسارة التي كانوا
يتحدّثون بها، ورأينا استهزاءهم بالمرحوم السيد العلامّة،
[إذ كانوا يقولون:] إنَّ بعض الناس قد جاؤوا إلى هنا.. إلى
حرم الإمام الرضا عليه السلام ليبتعدوا بأنفسهم عن
الأحداث، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم "العارف"!!
(وقد سمعت ذلك بنفسي عندما كنت جالساً إلى جانب
السيد العلامّة)، ثمّ كان هذا الشخص يتبع كلامه قائلاً:
هل تعلمون من هو "العارف" الحقيقي؟ إنَّه ذلك الشاب
الذي يفعل كذا وكذا...
فهذا الشخص إلى أيّ شيء ينظر؟ إنَّ هذا هو ما يُسمّى

بالمادّية الإسلاميّة! فهل هذا هو "العارف"؟! هل الشابُ
الذي لم يبلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره
يُسمّى عارفاً؟! ذلك الفتى الذي لا يميّز بين الرصاصة
والقذيفة صار يُدعى "عارفاً"!! لقد بدّلوا المفاهيم،
وحرّفوا التعبير والاصطلاحات عن مواضعها!! بلّ يا
عزيزي.. إنَّ بإمكاننا أن نأتي بآلاف الصفات الحسنة

والممدوحة للأفراد، ولكن كُلّ شيء له موضعه، فهذا الفتى الذي لم يتجاوز عمره الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة أو السابعة عشرة، ومع كُلّ الإخلاص الذي عنده.. هل تأخذه إلى غرفة العمليات في المستشفى وتعطيه سكين الجراح ليقوم بإجراء عملية قلب مفتوح؟! هل تعطيه أم لا؟! لماذا هنا لا تقول: إنَّ هذا الفتى ما زال في ريعان شبابه وهو في غاية الإخلاص، فهو إذًا أفضل جراحٍ في القلب على الإطلاق، وينبغي أن نعطيه مبضع الجراح... لماذا لا تقول ذلك؟ و لمَ لا تعطيه السكين والمبضع؟ لأنَّ كُلّ شيء له حسابه الخاصّ. ولكن عندما وصلت المسألة إلى العرفان، لم تجدوا حائطًا أخفض من حائط العرفان؟! فنراكم تقولون: "إنَّ عارفنا الحقيقي هو هذا".

إنَّ هذه ليست إلا نظرة ماديَّة ولكنَّها مصبوغة بلون إسلاميٍّ.. مجرد صبغة وألوان!! فنحن اكتفينا بأننا لم نذهب إلىسائر المذاهب، ولم نأخذ من باقي الملل والنحل، ولم نجعل زعماءهم زعماءً لنا، بل زعماً علينا هم

الأئمّة الإثنا عشر والمعصومون الأربعة عشر.. لقد

اكتفينا بهذا المقدار من ظاهر الإسلام والتشيّع.

ولهذا نرى أنَّ كلام الأعظم وفي محاضرات الأولياء وفي كتبهم ... لاحظوا السيد العلّامة مثلاً، فستجدون أنه كان يبدأ أولاً ببيان الجانب الواقعي بعنوانه العمود والأساس الذي يبني عليه البناء، وبعد ذلك يقوم ببحث باقي المسائل في هذا الإطار ويعوص فيها، ولكنَّ الأفراد الآخرين ليسوا كذلك.

لقد تبيّن البحث - إن شاء الله - بهذا المقدار، وصار واضحاً إلى حدٍ ما، وللتوقف هنا حتّى نتمكن من توضيح كلمات حضرة الإمام السجّاد عليه السلام، ولنرَ ماذا يقول نفس الإمام بدلاً من أن نطرح مطالبنا نحن، فنحن قد فرحنا أنَّه في هذه الليالي سيتّم شرح دعاء أبي حمزة، فإذا بنا اقتصرنا على مطالبنا نحن !! [تبسم من سماحة السيد].

كلمات الإمام السجّاد تبعث الأمل في النفوس

نسأل الله تعالى أن يرزقنا فهم هذه المطالب والمسائل. فأنا واقعاً عندما أقرأ هذه العبارات فإنَّ نور

الأمل يشعّ في قلبي (و لا شك أن الإخوة و الرفقاء مثلي في ذلك)، وأقول: إن الإمام السجّاد قد قال هذه الكلمات من أجلنا نحن، فأنا أرتكب الكثير من الذنوب والله تعالى يعلم ذلك، فأنا عبد آبق ومتمرّد، ولست لائقاً لاسم العبوديّة، (وأنا لا أمزح ولا أتواضع فأنا لست من أهل التواضع وأمثال ذلك)، وبسبب ذلك أشعر باليأس في بعض الأوقات.. يا رب ماذا أفعل؟! وفجأة أتذكّر الإمام السجّاد عليه السلام، فألتفت إلى أن الإمام السجّاد يصف حالنا هنا، فنحن كما قال عليه السلام: **"أدعوك يا رب بسان قد أخرسه ذنبه"**، وحينئذٍ نرتاح ونفرح، ونقول: لا شك أنّا سنقع إن شاء الله مورداً لرحمة الله وغفرانه، لأنّ الإمام عليه السلام يعرض هذه المطالب في ساحة الله على لساننا نحن بأنّه: **"حجّتي يا الله في جرأتي على مسألك، مع إتياني ما تكره، جودك وكرمك"**، فإذا كان الإمام عليه السلام يقول: (إن حجّتي ومعتمدي ومستندي (وقد بيّنا معنى الحجّة في الليالي السابقة) في طلبِي منك وسؤالِي إياك مع كُل ذنبي التي أ فعلها، جودك

وكرمك ..)، فإن ذلك ينطبق على أنا أيضاً، فهذه القضية تنطبق على وعليكم وعلى جميع الأفراد. فإذا أدرك الإنسان ذلك فإنه يشعر بالعشق والهمة وبالشوق والنشاط.

حسناً.. لو أننا لم نسمع هذه المطالب من لسان الإمام السجّاد عليه السلام، فما الذي كان سيحلّ بنا؟ لقد كان اليأس سيتملّكنا، وكان الضعف والفتور سيسيطر علينا، ولأصابنا العجز .. العجز! وهذا بحد ذاته هو أكبر الموانع!

نسأل الله تعالى أن يزيد فهمنا لهذه المطالب في كل آن ولحظة، وأن يرزقنا من عنده الهمة بالنسبة لهذه المسائل، وأن يجعلنا بنفسه في كل حال مورداً لعنايته ورحمته دائماً.

اللهم صل على محمد وآل محمد